Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنّ اللغة الإنسانية، في نظر «ابن خلدون» إذاً، ملكة مكتسبة، واعتبار اللغة ملكة يربطها بالمقدرات الفطرية لدى الإنسان على نحو يجعل البعد اللغوي خاصية إنسانية. يقول «ابن خلدون»:

«ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعداداً لحصولها. فإذا تلوَّنت النفس بالملكة الأخرى خرجت على الفطرة، وضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل في هذه الملكة، فكان قبولها للملكة الأخرى أضعف»(١٦).

والجدير بالذكر أنّ الملكة اللسانية تترسّخ في مكانها في الذهن الإنساني:

«إنّ الملكة إذا سبقتها ملكة أخرى في المحلّ فلا تحصل إلا ناقصة مخدوشة»(١٧).

والملكة أداة للنفس الإنسانية فهي حقيقة نفسية:

«ثم إنّ هذه النفس الإنسانية غائبة عن العيان وآثارها ظاهرة في البدن. فكأنه وجميع أجزائه، مجتمعة ومفترقة، آلات للنفس ولقواها. أما الفاعلية، فالبطش باليد، والمشي بالرجل، والكلام باللسان، والحركة الكلّية بالبدن متدافعاً»(١٨).

وعلى هذا النمط من التحليل والاستدلال يتطرّق «ابن خلدون» إلى ظاهرة الاكتساب اللغوي بحسٍّ لغويّ دقيق. وأوّل ما يتقرّر لديه في هذا المضمار أنّ الاكتساب يتمّ عن طريق المنشأ الطبيعي وبشكل متدرِّج:

«فالمتكلّم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله، وأساليبه في مخاطباتهم، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقّنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها، فيلقّنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدَّد في كل لحظة وفي كل متكلِّم، واستعماله يتكرَّر، إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة، ويكون كأحدهم. هكذا تصيَّرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل، وتعلّمها العجم والأطفال. وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أنّ اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم»(١٩).

---

(١٦) المرجع نفسه، ص ٧٢١ ـ ٧٢٢.
(١٧) المرجع نفسه، ص ١٠٨٨.
(١٨) المرجع نفسه، ص ١٦٨.
(١٩) المرجع نفسه، ص ١٠٧١ ـ ١٠٧٢.